

اجتهادات عالم بليد .. بليد

ربما تكون كلمة بلادة هى الأدق فى التعبير عن الحالة السائدة فى العالم، بينما المشاهد المؤلمة والصادمة تتوالى على مدى الساعة فى القدس وغزة وبعض المدن التى يعيش بها عدد كبير من فلسطينى 1948. أطفال ونساء وشيوخ يُقتلون، وشباب يُسحلون، ويُعتقلون، وبنيات تُسَف بالصورايخ الإسرائيلية، ووحشية مهولة تتعامل بها قوات الاحتلال مع الفلسطينيين منذ أن سعت إلى تهجير سكان حى الشيخ جراح فى القدس، وقمعت المحتجين وطاردتهم فى داخل المسجد الأقصى. مشاهد تُحرك الحجر، ولكنها لا تؤثر فى معظم البشر الذين تابعوها على الهواء، وكأنهم مُجردون من الإحساس. قليل جدًا من البشر هم من تفاعلوا مع جرائم الاحتلال الإسرائيلى، وأدانوها، أو حاول بعضهم تقديم أى مساعدة لوضع حد لهذه الوحشية.

إنها البلادة فى أجلى صورها. والبلادة تعنى فى اللغة الغلاظة، وخمود الهمة، وضالة الاهتمام. ولكن المعنى الأول لها فى مختلف اللغات هو قلة الإحساس أو انعدامه، بحيث لا يُبدى الشخص البليد استعدادًا للتفاعل مع وضع خطير أو أمر جلل. ربما يُقَطَّب جبينه لبرهة، أو يلوى شفتيه للحظة، ولكنه لا يلبث أن يتعامل مع ما يحدث وكأنه أمر عادى أو مُعتاد.

ويُخشى أن يكون كل ما يُفترض أن يُحرِّك الضمير الإنسانى قد بات عادياً أو مُعتاداً، لكثرة الأحداث المؤلمة والمُفجعة التى يتابعها الناس، بعد أن صاروا أسرى ما سمته الكاتبة البريطانية المُبدعة دوريس ليسنج حائزة

نوبل للآداب عام 2007 (سجوناً نختار أن نعيش فيها). وهذا هو عنوان كتاب أصدرته عام 1986 وتضمن خمس محاضرات ألقته في العام السابق، وصدرت ترجمة عربية له أخيراً أعدتها سهير مجدي، ونشرها المركز القومي للترجمة ودار العين. كتاب يلخص ما آل إليه حال البشر في ظل ازدياد الاتجاه إلى الهمجية والتوحش، وسرعة الانحدار نحو تفاعلات تُحرّكها مشاعر عدوانية وتسودها أشكال من القسوة.

وبغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف معها على تصورها لمُسببات هذه الحالة، نجد في كتابها ما يُفسّر البلادة الغالبة في متابعة العالم لجرائم ضد الإنسانية في فلسطين.